

حضور التفكيك في النقد العربي المعاصر؛ قراءة ميتا نقدية في آليات التلقي

The Presence of Deconstruction in Contemporary Arab Criticism- A

Metacritical Reading of Reception Strategies-

د. أميرة شابي

Dr. Amira chabbi

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية (جامعة تبسة)

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة (الجزائر)

University of sheikh larbi tebessi-Tebessa /Algeria

amira.chabbi@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2025/09/02

تاريخ القبول: 2025/08/19

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

يُعَدُّ التفكيك عند جاك دريدا مشروعًا نقديًا يستهدف زعزعة البنى النصية وتقويض مركزياتها، من خلال خرق حلقة التسلسل المنطقي للأفكار وكشف تناقضاتها الداخلية، متجاوزًا ثنائية الحضور/الغياب نحو أفق التعدد والاختلاف. وقد انتقل هذا المشروع إلى الساحة النقدية العربية عبر الترجمة والاحتكاك الثقافي، فتباينت طرائق تلقيه بين نقاد سعوا إلى تبيئته وممارسته، وآخرين تعاملوا معه بقدر من الرفض أو التحفظ. غير أن هذا التلقي ظل في مجمله محكومًا بالمحاكاة المصطلحية أكثر من كونه حوارًا معرفيًا معمقًا، إذ لم تُستثمر جذوره الفلسفية ولا إمكاناته الإستيمولوجية بالقدر الكافي. ومن هنا، تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة حضور التفكيك في النقد العربي المعاصر من منظور ميتا نقدي، من خلال مساءلة آليات تلقيه واستراتيجيات استدعائه، وبيان ما إذا كان يشكل أفقًا للتجديد النقدي أم مجرد صدى للممارسات الغربية.

الكلمات المفتاح : التفكيك، الميتا نقد، التلقي، النقد العربي، المحاكاة.

Abstract :

Jacques Derrida's deconstruction aims to unsettle textual structures and dismantle their centralities by exposing internal tensions, disrupting logical sequences, and moving beyond binary oppositions toward multiplicity and différance. This project was introduced into Arab criticism mainly through translation and cultural contact, where it was variously received by critics who either sought to appropriate it or resisted its claims. However, this reception largely remained confined to terminological imitation rather

* د. أميرة شابي: amira.chabbi@univ-tebessa.dz

than a substantive intellectual dialogue, as its philosophical foundations and epistemological implications were rarely explored in depth. This study therefore undertakes a metacritical reading of the presence of deconstruction in contemporary Arab criticism, examining the strategies of its reception and assessing whether it has opened new horizons for critical renewal or merely echoed Western practices.

Keywords: Deconstruction, Metacriticism, Reception, Arab Criticism, Imitation.



المقدمة:

تُعَدّ قضية المناهج النقدية من أبرز القضايا التي شغلت الخطاب الأدبي والنقدي في القرن العشرين، وهو القرن الذي شهد طفرة هائلة في الحقول المعرفية، جعلت من المناهج جزءاً لا ينفصل عن عملية التفكير والإبداع. فقد بدأت الممارسة النقدية مع الشكلاية الروسية والبنوية والسيمايات، وهي مناهج سعت إلى تأسيس قراءة علمية للنص الأدبي قائمة على البنية الداخلية ومكوناتها، لكنها لم تلبث أن واجهت حدودها مع بروز تيارات ما بعد الحداثة التي أحدثت انقلاباً على المسلمات الراسخة، وأعادت النظر في القيم المطلقة، وفي مركزية الحقيقة الواحدة. وقد جاءت هذه التحولات لتقوض يقينيات التراث والأنساق المعرفية الكبرى، وتعيد تشكيل النقد من خلال الانفتاح على التعدد والتأويل والاختلاف.

وفي قلب هذا المنعطف ظهرت استراتيجية التفكير التي ارتبطت باسم جاك دريدا، فشكّلت إحدى أهم إفرازات ما بعد الحداثة، وسعت إلى زعزعة البنى النصية وتقويض مركزياتها عبر خلخلة أسسها الداخلية وكشف تناقضاتها. لقد تجاوز التفكير منطق الحضور واللوعوس، داعياً إلى استثمار ما هو غائب ومؤجل في النصوص، ومؤكداً على موت المؤلف وانفتاح النص على قراءات لا متناهية. وقد فتح ذلك أفقاً نقدياً جديداً يعيد الاعتبار للقارئ ويحرره من سلطة القراءة النموذجية الموحدة، لتصبح القراءة نفسها فعل إنتاج للمعنى لا مجرد استهلاك له.

غير أنّ انتقال التفكير إلى الثقافة العربية تم في سياق مختلف، من خلال الترجمة والاحتكاك الحضاري بالغرب، وهو انتقال لم يخلُ من إشكاليات. فقد حظي التفكير باهتمام ملحوظ لدى بعض النقاد الذين سعوا إلى تبيّنه في الحقل العربي، لكنه واجه في الوقت نفسه تحديات تتصل بخصوصية الثقافة العربية، وباختلاف المرجعيات الإستيمولوجية التي نشأ فيها. ولعل أبرز ما طبع هذا التلقي هو أنه ظل في كثير من الأحيان محكوماً بالمحاكاة الاصطلاحية والانهار بالآليات الشكلية، أكثر من كونه حواراً معرفياً معمقاً مع خلفياته الفلسفية. وانطلاقاً من هذه الإشكالية، تسعى هذه الورقة إلى مقارنة حضور التفكير في النقد العربي المعاصر من منظور ميتا نقدي، عبر مساءلة آليات التلقي واستراتيجيات الاستدعاء، والتساؤل عما إذا كان هذا الحضور قد أتاح للنقد العربي إمكانات للتجديد والتطوير؟ أم أنه بقي مجرد صدى للممارسات الغربية دون قدرة حقيقية على التوطين والإبداع؟

1- في التأسيس النظري لاستراتيجية التفكيك:

تمخضت التفكيكية (déconstruction) من فلسفات ما بعد الحداثة التي سعت إلى هدم الميتافيزيقا وتجاوز التراث وفلسفة العقل والمنطق على يد الفيلسوف الفرنسي جاك/دريدا، وكرد فعل على تقاليد الحداثة ودوغمائية المناهج الغربية، أعلنت موت المؤلف وافتتاح النص على تعدد الدلالات، "وهي من أهم مداخل نظريات النقد المعاصر، حيث ظهرت كتيار نقدي جديد عرف فيما بعد الحداثة واكتسح الساحة الفكرية والنقدية، فأحدث ثورة على مستوى القيم الأدبية النقدية التي كانت سائدة آنذاك، وفكك الدعائم الراسخة في الفكر النقدي وخلخل نسقيها من خلال تفكيك ما هو موجود"¹، فقد عمل جاك دريدا على نقض مركزيات الفكر الغربي مثل نيتشه وهيدجر وهدم وتدمير ثقافة الفكر الغربي وتقويض ميتافيزيقيتها، وتعد "التفكيكية deconstructivisme آلية لتعرية هذه المركزية في صميم مبادئها الميتافيزيقية والعقلانية والعرقية...وقد اعتبر دريدا كتابه الصوت والظاهرة من أهم مؤلفاته التي تبرز العلامات الكبرى التي تركز عليها التفكيكية باعتبارها آلية لتفتيت النصوص وإعادة بنائها بطريقة تسير عكس منطلقاتها"²، فهي تدعو إلى رفض كل ثابت ويقيني يفرض أحاديته على الفكر الإنساني وخلخلة دعائم الفكر وذلك عن طريق إحداث الشك والريبة في مصداقية كل إنتاج إبداعي أدبي أو فلسفي أو لاهوتي، بمنح الأولوية للكتابة حتى تحرر النص من سلطة المؤلف الأول وينفتح النص على لا نهائية التفسيرات "فالكتابة تشكل تحديا لفكرة البنية في حد ذاتها: ذلك أن البنية تفترض على الدوام وجود مركز، ومبدأ ثابت، وتراتبية معان وأساس صلب، وهذه الأفكار بالضبط هي ما يضعه اختلاف الكتابة وإرجاؤها، المتواصلان تحت طائلة الشك، وبعبارة أخرى لقد انتقلنا من عهد البنيوية إلى حكم ما بعد البنيوية، وهي أسلوب في التفكير يضم عمليات دريدا التفكيكية وأعمال المؤرخ الفرنسي ميشيل فوكو، وكتابات المحلل النفسي جاك لاكان والفيلسوفة والناقدة الأثوية جوليا كريستيفا"³.

وقد استلهمت التفكيكية دعائمها وركائزها من فلسفة الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه وإدموند هوسرل ومارتن هيدجر وميشيل فوكو، وكذلك استفادت من الفلسفة الوجودية والتحليل النفسي لفرويد، إذ يركز التفكيك على "ظلال الفلسفة العيبية والوجودية مروراً بالفلسفة العدمية وفلسفة الشك والفلسفة الظاهراتية"⁴، ويعد الفيلسوف نيتشه أول من طرح قضية موت الإله، وشكك في الإنتاج المعرفي والفلسفي واللاهوتي للفلسفة الغربية وللنصوص الميتافيزيقية، لذا فإن إعلان موت المؤلف في التفكيك هو موت الإله في الفلسفة النتشوية، فهذه المناهج تطرح قضية تجاوز التراث، وانتفاء المطلقة والأحادية والانغلاق والشمولية، والتراتبية وسلطة المرجع الواحد التي فرضت معارفها المغالطة، وتدمير هذه المرجعيات وتحرير الفكر من سلطة المعرفة، وتلغي المركزية الثابتة التي هيمنت على الفكر الغربي دحرا من الزمن، إذ "يلج فلاسفة التفكيك على فكرة التجاوز والعبور تأسيسا لمعرفة جديدة قوامها الترحال والانفصال عن الأصول والجذور والتراث والهوية، بوصفات مقومات الفكر التقليدي"⁵؛ فظهرت تفكيكية جاك دريدا كتيار فلسفي ونقدي تتجاوز الطرح الفلسفي التقليدي، تكسر الجمود والألوهية التي سادت في الفكر الغربي. وتحرير النص من سلطة الحقيقة.

كما سعت التفكيكية إلى تطوير دور النقد في كشف زيف الخطاب، إذ حملت التفكيكية "على عاتقها مهمة الارتقاء بالنقد وتحقيق ما عجزت البنيوية عن تحقيقه، وتجاوز الأخطاء التي وقعت بها، مما حدا بنخبة من مفكرها الخروج

عن عبائها والالتحاق بالركب التفكيكي، وذلك عندما فشل المشروع البنيوي في تحقيق طموحاتهم مثل (جاك دريدا) و(رولان بارت) و(جوليا كرسيفا)⁶. فظهرت التفكيكية كرد فعل على تقاليد الحداثة ودوغمائية المنهج البنيوي التي عزلت النص عن السياقات الخارجية الفاعلة في إنتاجه، وكإستراتيجية قرائية نقدية تقوم على الشك في جميع الخطابات المعرفية مستندة على خاصية التقويض والتدمير والهدم والبناء، وعلى التأويل في استنطاق دلالات النص الكامنة وتفجير معانيه المتوارية، من خلال البحث في الترابط النصوي الذي تكشفه خاصيتها التدميرية؛ إذ ترى بأن النص يمتلك عدد لا متناهيا من الدلالات والمعاني، لا يصل إليها الكاتب في حد ذاته، إنما تتجلى من خلال تفكيك القارئ والمتلقي لشفرات النص ومداعبة شقوقه والقبض على معانيه الكامنة، فيقدم كل قارئ بتأويله المغاير قراءة جديدة للنص الأول، إذ تعد "نوعا من القراءة تشتغل من داخل النصوص الفلسفية والأدبية على خلخلة أبنيتها المعتمدة على الثنائيات الضدية"⁷.

2- اشتغال التفكيك: من تقويض البنية إلى تعدد التأويل:

يعد التفكيك إستراتيجية قرائية جديدة تدميرية وبنائية تنظر للنص من عدة زوايا وتسبر أغواره وتكشف المسكوت عنه؛ إذ تحاول التفكيكية "تقويض النص بأن تبحث في داخله عما لم يقله بشكل صريح واضح (وهو ما يشار إليه الآن بالعربية بعبارة: المسكوت عنه)، وهي تعارض منطق النص الواضح المعلن وادعاءاته الظاهرة، بالمنطق الكامن من النص ذاته، كما أنها تبحث عن النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه، فهي عملية تعرية للنص (بالإنجليزية: denude، وهو فعل آخر يضاف لترسانة الأفعال التفكيكية)، وكشف أو هتك لكل أسرار (بالإنجليزية: demystify)، وتقطيع لأوصاله وصولا إلى أساسه الذي يستند إليه"⁸، إذ تتغلغل في بواطن الخطاب وتبحث عن شقوق وفجوات تفتح المجال لإعادة قراءته وتأويله، "إنّ الفكرة الغالبة عند دريدا عن النص الأدبي هي: لما كانت اللغة سلسلة من الدالات تشير إلى مدلولات مستقلة في وجودها، فإنّ النصوص إذن لا تصور عالما حقيقيا قائما بصورة مستقلة عن اللغة. ونتيجة لذلك فإن وظيفة النقد هي التركيز على النص باعتباره تركيبا لغويا، توليفة بلاغية، يمكن فهمها عن طريق فكها وتفكيكها حتى يمكن الكشف عن آلية البلاغة"⁹.

تركز التفكيكية على عنصر الاختلاف بين النص والقارئ وبين الدال والمدلول، أي أنها تبحث عن تناقضات الكاتب وتكشفها عن طريق تشريح أبنية النص، والقبض على المعان المسكوت عنه، بتسليط الضوء على القارئ والنص وتركز على عناصر الغياب بالنظر إلى الخطاب المكتوب على أنه "نسق مكتوب من نصوص مترسبة وملتحمة ولكن لأنّ الكاتب هو هوية متشظية وأصداء متوالية لصوت نصوص متشابهة، منطلق التفكيك ومنطقة هو كما يلي: ليس الكاتب وحدة منسجمة أو عقلا فعالا أو فيضا خصبا ومنتجا للمعاني والدلالات المتعالية، ولكن الكاتب في اللحظة ذاتها كاتب وقارئ، فهو إذ يكتب إنما يقرأ كتابته الخاصة، فليس هناك نص واحد وإنما شخصان* (كاتب/قارئ) في المؤلف نفسه، فهو في الوقت نفسه المركز والهامش، بل ويمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك الكاتب في اللحظة ذاتها هو التالي (المعنى) والكاتب (التعبير) والقارئ (الإشارة) فهو يتلو ما يستحضره من معاني وما يمثله من أفكار ليكتبها ويثبثها في خطاب ثم ليقرأها كمكتوب جاهز للاستهلاك"¹⁰، والنص هنا يكون كنسيج أو شبكة عنكبوتية تقتضي تفكيك جزئياتها التركيبية، والكاتب هو قارئ أول والقارئ هو المؤول للنص، وتزاح بهذا الألوهية والمركزية عن الكاتب والنص، فقد ارتقى دور القارئ عندما أصبح منتجا ثانيا للنص وانتهى زمن الوقوف أمام النص بصمت، وعليه "فلا وجود لنقطة

يبدأ منها أو عندها النص أو نقطة ينتهي بها أو عندها، ولا وجود لمركز أو أصل، طبعا لا وجود للأصل، لأن كل أصل في معسكر ما بعد الحداثة، تماما كمال قال فرويد منذ بداية القرن العشرين، يتحول إلى أثر يشير إلى أصل آخر، سرعان ما نكتشف أنه الآخر ليس سوى أثر¹¹.

تعتبر التفكيرية من أهم افرازات ما بعد الحداثة، أعادت الاعتبار للقارئ بمنحه سلطة قراءة النص وإعادة إنتاجه وفتح التأويلات والدلالات أمامه، فهي تعطي الأولوية للقارئ لتقويض الأنظمة الدلالية للخطاب الإبداعي للوصول إلى عدد لا متناهي من الدلالات من خلال المتلقي الذي يعيد قراءة النص. كما تسعى إلى الارتقاء بالنقد بتجاوز طروحات النقد البنيوي بمسألة النص من الداخل ليس من الخارج فقط، بواسطة ثنائية الشك واليقين بين الدال والمدلول التي تعد من أهم ركائز التفكير، "إذا كانت المنهجيات التقليدية والمنهج البنيوي، تطمح إلى تقديم براهين متماسكة لحل الإشكال في عملية وصف الخطاب أو الاقتراب إلى معناه، فإن التفكير يذر الشك في مثل هذه البراهين ويقوض أركانها، ويرسي على النقيض من ذلك دعائم الشك في كل شيء فليس ثمة يقين، ويمكن هدفه الأساسي في تصديق بنية الخطاب مهما كان جنسه ونوعه، وتفحص ما تخفيه تلك البنية في شبكة دلالية"¹²، فالتفكيرية تتجاوز الطرح البنيوي في مسألة النص من الخارج، إلى البحث في بواطن النص وعناصره المغيبة وهتك ستر الخطاب وكشف تعالقاته النصية، وكما يقول عبد الله الغدادي "لا يمكن للخارجي أن يحدد علاقات النص الداخلية؛ لأن النص قد تجاوز هذا الخارجي، ومن ثم فقد تحرر منه، واستقل عنه بوجود جديد ينبنى عليه عالم جديد"¹³؛ إذ يتشكل الخطاب حسب التفكيرية وفق نظام سلطوي تسعى هي إلى خلخلة بنياته وتقويض ميثاقية هدم هرميته وتفجير كوامنه بتقويض الثنائيات الضدية أو التقابلات، فالنص في التفكير عبارة عن سلسلة من التناص والإحالات تترك شذرات وتمفصلات تستدعي استنطاقه وتشريحه واستقراءه لتعريه أنساقه وقطع أوصاله بالمرجعية وإعادة بناءه برؤية جديدة تختلف عن كاتب النص وتجعله قابلا لإعادة القراءة، "باستحضار المغيب، وهذا يقود إلى تخصيص مستمر للمدلول بحسب تعدد قراءات الدال، وبهذا فإن تنازع القراءات فيما بينها للخطاب، يفضي إلى متوالية لا نهائية من المدلولات"¹⁴؛ إذ يرتبط النص بالمؤول فكلمة تعدد المؤولون للنص تعددت التأويلات ويصبح النص عدة نصوص، وتركز على العناصر المغيبة في النص فهي تفكك شيفرات النص حتى تقبض عن المسكوت عنه والغائب في الخطاب المعرفي، والمتلقي يبحث على المدلول الغائب والمؤجل، ويستدعي هذا التشريح ذخيرة معرفية يتسم بها القارئ حتى يتسنى له خلخلة بنيات النص والقبض بين شقوقه عن الدلائل المؤجلة "أي إن الناقد التفكيرية في حقيقة الأمر يطلق النص ضد نفسه حتى يقوم النص ذاته بخلخلة ما تبدو أنها ثوابته. وفي إطلاق النص ضد نفسه يقوم الناقد التفكيرية بهز أو خلخلة المعادلة التقليدية بين النص والقارئ"¹⁵.

والمعنى في التفكير هو مفتاح تلك الفجوات "فكل نص هو أثر أو صدى لكل النصوص الأخرى، أي إن النص ليس له هوية محددة واضحة، فهو مجرد وقع أو صدى. والنص يفيض ويلتحم بالنصوص الأخرى (تماما كما تفيض اللغة داخل النص بفائض في المعنى لا يستوعب داخل حدود النص نفسه، تماما مثل الذات التي تفقد تماسكها فتلتحم بالذوات الأخرى)"¹⁶، فإذا كانت الدلالة منفتحة والمعاني متعددة في النص الواحد ومتراكمة من خلال صيرورة التناص واستقراره، فإن التفكيرية تقر بعدم وجود مرجعية ثابتة ومطلقة بل إن كل نص عبارة عن جملة من الدلالات يمكن

تشريحها وتفكيكها فتتعدد تأويلات النص ويصبح عدة نصوص، فكل قراءة هي إساءة قراءة وكل تأويل هو إساءة تأويل، إنَّ التفكير ينقد كل مرجعية وتتركز حول الذات ويتجاوز القراءة الأحادية إلى الانفتاح والاختلاف والتعدد في القراءات، لنتهي سلطة النص وتفتح المجال للحوار بين النص والمتلقي، "والتفكير يعني عملية فك الشيء إلى مكونات صغيرة، ويوحى بالإمكان القائم أبدا بإعادة تجميع الشيء في شكله الأصلي"¹⁷.

تُركز التفكيرية على الكتابة التي تدعو إلى الاستمرارية فالنص لا يتوقف عند الكاتب، إنما يتعداه إلى القارئ الذي يعيد إنتاجه باستنطاق مضمرات الغياب، واستحضار جميع الدلالات الممكنة وكشف سحر النص وتفكيك طلاسمه، "ومن هنا فإنَّ دريدا يدعو إلى أن تنصب الدراسة التفكيرية على النصوص، وأن تحللها عن كذب للكشف عن أي ثغرات من القلق aporia، أي عدم اليقين، أو بمعنى أوضح ما لا يمكن الوثوق به، فهذه هي التي ينفذ منها الكاتب إلى ما يسميه الدلالات المتعالية transcendental signifieds"¹⁸، إنها تتباعد عن كل قراءة أحادية وعن كل نص علمي وخطاب مطلق يفرض ذاته ولا يقبل القراءة والتأويل، بالتشكيك في أبنية الخطاب والدعوة إلى تفكيك النص، وتستند في عملياتها التدميرية على عنصر الاختلاف والإجراء، فعلم الكتابة في رأي جاك دريدا "ثمرة لثلاثة عوامل هي بالتحديد: الكلمة gam و أوجه التشابه بين الكلمات traces، والاختلاف بينها difference...مما يؤكد تصور سوسير أنَّ ثمة مفاهيم حاضرة أي موجودة خارج الألفاظ، وهذا الحضور...يعني أنَّ العلامات ذات قدرة ذاتية أو أنَّ قيمتها تكمن في قدرتها الكامنة على العمل خارج حدود اللغة...أما الإجراء فهو عكس الحضور، أي أننا حين نعجز عن الإتيان بشيء أو بفكرة فنحن نشير إليها بالكلمة، ومن ثم فنحن نستخدم العلامات مؤقتا ريثما نتكمن من الوصول إلى الشيء أو الفكرة، وعلى هذا فإنَّ اللغة هي حضور مُرجأ للأشياء والمعاني، ولا يمكن إذن افتراض حضورها في وجود اللغة"¹⁹، فالاختلاف الدريدي يتسم بالتعدد الدلالي من خلال علاقة الاختلاف بين الكلمات، والاختلاف والإجراء يجعلان اللغة تنتشر وتعيد الولادة من جديد وبشكل مستمر بالشك في صحة الخطاب المعرفي ودقته، فتسعى التفكيرية إلى كسر انغلاق النص وجعله مفتوحا على القراءة بخلق التفاعل بين الكلمات وتعدد الدلالة.

3- آليات تلقي التفكير في النقد العربي المعاصر:

انتقلت المناهج الما بعد حداثة إلى الثقافة العربية عن طريق الانفتاح الثقافي على الآخر الغربي، التأثير والتأثر والترجمة "خاصة احتكاك المغرب العربي بالثقافة الفرنسية، نظرا للعوامل التاريخية المعروفة وأولها الاستعمار، فُتح مجال الحوار الثقافي مع الآخر، وتبادل الأفكار والنظريات والفلسفات، إذ من الطبيعي أن يكون هناك نوع من التأثير والتأثر، ومن الطبيعي أن تترك شهرة جاك دريدا أثرها في النقد المغاربية الذين استنبطوا من قبل مناهجهم النقدية المعاصرة من فرنسا، بعدما كانوا يأخذوها من المشرق العربي"²⁰، إذ عرف النقد العربي ركودا وانغلاقا وقوقعة على نفسه، جعلت الحاجة إلى الانفتاح والاطلاع على مستجدات الوسط النقدي الغربي أشد إلحاحا، وقد ترتب عن ذلك الانفتاح الحضاري منجزات عربية حذت حذو النظريات والمناهج الغربية في قراءة وفهم النص الأدبي العربي واستنطاق مضمراته وكشف كوامنه وسبر أغواره، إذ سعى النقد العرب إلى إيجاد مرجعيات ومنطلقات فكرية تبرر توجه خطاباتهم المعرفية. تعد استراتيجية التفكير من أهم المناهج القرائية التي عرفت استقبالا كبيرا من لدن النقد الحديثين العرب باعتبارها سلاحا تدميريا حرر النقد العربي من سلطة الأصل والتراث، "فقد عرفت الثقافة العربية دريدا، وترجم عدد

من نصوصه ووضعت الكثير من الدراسات حوله وشروح عليه للتعريف بفلسفته وتطبيق منهجه، سواء في الفلسفة أو في النقد الأدبي أو السوسولوجي. وقد نهض بهذا الجهد أساء لامة من الباحثين وأساتذة الجامعة والمفكرين العرب... فأصبح جزءا من متن النص الفلسفي العربي المعاصر، وانتقلت فلسفته من الغياب إلى الحضور وتحولت أفكاره من المسكوت إلى المعلن عنه، ومن اللامفكر فيه إلى المنقول عنه²¹، ومن بين النقاد الذين تبنا التفكير وترجموه نجد: عبد الله الغدامي، عبد العزيز حمودة، عبد المالك مرتاض، محمد بكاي، سعد البازعي، محمد شوقي الزين، عبد الكبير الخطيبي وغيرهم.

أعبد الكبير الخطيبي:

يعدّ عبد الكبير الخطيبي من أوائل النقاد العرب الذين تلقوا التفكير وحاولوا توظيفه في مقارنة النصوص، لكن استدعائه جاء من منظور مزدوج يجمع بين الوعي الفلسفي والهتم الهوياتي. فقد انفتح على دريدا، واستثمر أدوات التفكير للكشف عن البنية الاستعمارية والسلطوية الكامنة في الخطاب، وربط ذلك بأسئلة اللغة والهوية في السياق المغربي والعربي. غير أنّ توظيفه للتفكير لم يكن مجرد محاكاة تقنية، بل كان مشوّبا بوعي نقدي خاص حاول أن يزواج بين الفكر الغربي والخصوصية المحلية. ومع ذلك، فإن بعض الدارسين يرون أن استدعاء الخطيبي للتفكير ظل انتقائيا، وأنه لم ينفصل كليّا عن أفق المحاكاة. فكانت جهود الناقد عبد الكبير الخطيبي حثيثة في ترجمة التفكير الدريدي ونقله إلى الثقافة العربي، إذ يرى أنّ النقد العربي بات في أمس الحاجة إلى "نقد مزدوج" وهي ترجمة للتفكير، يعزز فاعلية الاختلاف في تجاوز الموروث العربي الذي أثقل كاهل النقد العربي، وجعله حبسا لذاته، بتفكير عناصر الوحدة وتجاوز الذات والتمركز حول الذات وخلخلة أبنيتها عن طريق النقد المزدوج، فيقول الخطيبي "أنا أدعو إلى نقد مزدوج: ينصب علينا كما ينصب على الغرب، ويأخذ طريقا بيننا وبينه، فيرمي إلى تفكير مفهوم الوحدة التي تتشكّل كاهلنا والكليّة التي تجتمّع علينا، وهو يهدف إلى تقويض اللاهوت والقضاء على الإيديولوجية التي تقول بالأصل والوحدة المطلقة"²²، والخطيبي يولي اهتماما كبيرا بعنصر الاختلاف باعتباره رمزا للانفتاح السياسي والثقافي والاجتماعي والهوياتي الذي رفضته الثقافة العربية، يقول "لا يمكن للهوية الأصلية التي تقوم على الأصول اللغوية والدينية والأبوية أن تحدد وحدها العالم العربي، فهذه الهوية قد تصدعت وتمزقت بفعل الصراعات والتناقضات الداخلية. ثم إنها تجد نفسها مرغمة على التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية والتفتح على العالم"²³.

فالخطيبي يدعو إلى الانفصال على الموروث الثقافي والديني التاريخي العربي لأنها كبلت حركة النقد وتسعى إلى الانخراط بالفكر العربي، ويدعو أيضا إلى الانفتاح على ثقافة الآخر الغربي كونها أنتجت مناهج ما بعد حداثة بتبني الاختلاف في جميع الأنظمة وعلى جميع الأصعدة حتى يتحرر الفكر العربي من دوغائيته. ويتضح من هذا الطرح أنّ الخطيبي لم يتعامل مع التفكير بوصفه منهجا جاهزا يُطبّق على النصوص العربية كما هو، بل نظر إليه كأفق نقدي يمكن أن يسهم في مساءلة الخطاب الاستعماري ومفاهيم اللغة والهوية. فقد استثمر بعض آلياته في خلخلة البنى الثقافية التقليدية وكشف التناقضات الكامنة في الخطاب، محاولاً بذلك أن يجعل من التفكير أداة مزدوجة: أداة فلسفية وأداة ثقافية في آن واحد. ومع ذلك، فإن هذا التوظيف بقي انتقائيا في كثير من الأحيان، إذ لم يتجاوز حدود الاستفادة الجزئية من المفاهيم، مما يجعله أقرب إلى التكيف الموضوعي منه إلى التوطين المعرفي الشامل.

ب- عبد الله الغدامي:

ويعتبر الغدامي مثل نموذج آخر في تلقي التفكير، حيث استثمره في مشروعه المعروف بـ«نقد النقد» وفي سعيه إلى قراءة البنية الثقافية العربية. فقد ركز على وظيفة التفكير في زحزحة المقولات التراثية وكشف التمثلات السلطوية في الخطاب الأدبي، وسعى إلى تحويل النقد من نشاط وصفي إلى نشاط إشكالي يقوض البنية ويفضح التناقضات. ومع ذلك، فإن نقد الغدامي للتلقي العربي للتفكير يعكس بدوره نوعاً من التذبذب؛ فهو في الوقت نفسه يوظف أدوات ويستفيد من إمكاناته، لكنه يقر بأن الممارسة النقدية العربية لم تتمكن من استيعابه إلا في حدود المحاكاة الاصطلاحية. إذ يترجمه عبد الله الغدامي بمصطلح التشریح، ويرى بأن هذه الترجمة هي الأنسب، يقول "ولنا فإني أسمى منهجي بالنصوصية أو بالنقد الأسنوي، وأسمى الإجراء بالتشريحية لأن ما فعله إجرائاً هو ممارسة التشریح فعلياً من أجل الوصول إلى سبر تركيبات النص وأبنيته الداخلية"²⁴، فنكون التشریحية إعادة بناء النص بعد تشریح جزئياته والقضاء على المركزية بكشف دلالاته الممكنة والامكان بوجود الأثر، إذ ينتج الكاتب النص ويتلقاه القارئ ويقوضه ويعيد إنتاجه فيصبح نصاً ثانياً وتستمر قراءته فيبقى الأثر مستمراً ومتكرراً عبر الزمن، والتفكير الدريدي يقوم بإزالة كل الضوابط التي من شأنها تكبيل حركة النص والقارئ "فالتشریحية تأخذ بقلب مفهوم السببية كما فعل نيتشه... والقراءة سبب للكتابة فلولاً وجود قراء لم يكتب الكاتب نصه، حتى وإن حجب عن الناس لأن لحظة الكتابة هي لحظة توجه نحو قارئ، والكاتب نفسه يتلقى ما أبدعه كقارئ أول له"²⁵.

ويبرز هذا الموقف أن الغدامي استثمر التفكير ضمن مشروعه لنقد النقد، إذ سعى من خلاله إلى زعزعة المقولات الراسخة في الخطاب العربي وكشف بنيتها الثقافية الكامنة. فقد ركز على البعد التداولي للتفكير، من حيث قدرته على تقويض الثنائيات وكشف علاقات السلطة داخل النصوص. ومع ذلك، فإن موقفه لم يخلُ من مفارقة، فهو في الوقت الذي يوظف فيه المفاهيم التفكيرية في قراءاته، يؤكد أن التلقي العربي للتفكير ظل محكوماً بالمحاكاة والانبهار أكثر من الحوار النقدي الواعي، وهو ما يجعل مشروعه شاهداً على إمكانات التفكير وحدوده معاً.

ت- سعد البازعي وميجان الرويلي:

يُمثل كلٌّ من سعد البازعي وميجان الرويلي نموذجاً آخر في تلقي التفكير عربياً، من خلال جهودهما في التعريف بالمناهج النقدية الحديثة وترجمتها، ولا سيما في «معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة» الذي شكّل مرجعاً مهماً للأجيال الجديدة من الدارسين. فقد سعى الناقدان إلى ضبط المصطلحات التفكيرية وإيجاد مقابلات عربية لها، مع شرح خلفياتها النظرية والفلسفية، مما أسهم في تقريب التفكير إلى القارئ العربي. غير أن هذا الجهد، على أهميته التأسيسية، ظل محصوراً في حدود التعريف الاصطلاحي والقاموسي أكثر منه ممارسة نقدية أو حواراً إستمولوجياً مع النصوص العربية. وهكذا جاء حضورهما شاهداً على انتقال التفكير إلى النقد العربي بوساطة المعجم والترجمة، أي في بعده المفهومي أكثر من بعده الإجمالي التطبيقي، إذ يذهب كل من الناقد سعد البازعي وميجان الرويلي إلى ترجمتها بالتقويفية، وهي محاولة لترجمة ما جاء به دريدا في محاولته لتقويض الفكر الغربي يعني الهدم وإعادة البناء، ويعتبر الناقدان ميجان الرويلي وسعد البازعي ترجمة التفكير بالتقويض الأقرب لما جاءت به فلسفة دريدا، على الرغم من أن دريدا لا يقصد التقويض بتفكيكيته، "والقراءة التقويفية هي قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص (مهما كان) دراسة

تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما توصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معانٍ تتناقض مع ما يصرح به، وتهدف القراءة التقويمية من هذه القراءة إلى إيجاد شرح بين ما يصرح به النص وما يخفيه²⁶، فالتقويض هو نقيض البناء، والتفكيك يعني الهدم وإعادة البناء، فيختلفان في عملية البناء ويشتركان في التقويض الذي قام به في دريدا في هدم الطرح الفكري الغربي تدميره، وتكمن "قدرة التقويض على زعزعة الخطاب وكشف نقاط ضعفه ومراكز تناقضاته فتكمن في استراتيجية دريدا القرائية المزدوجة التي تفيد من مصطلحاته المختلفة التي يشتقها من المادة المدروسة، وأهم مصطلحاته في هذا المجال: الأثر، والاختلاف، والتكرارية"²⁷، يتضح من إسهامات كلٍّ من سعد البازعي وميجان الرويلي أن حضورهما في المشهد النقدي العربي لم يكن عبر التطبيق المباشر للتفكيك على النصوص، بل من خلال الجهد التأسيسي في الترجمة والتعريف. فقد عملا على إدخال المصطلح إلى التداول النقدي وضبط مفاهيمه داخل الثقافة العربية، مما جعل مساهمتها خطوة تمهيدية ضرورية لفهم التفكير. ومع ذلك، فإن اقتصار هذا الجهد على الجانب القاموسي والاصطلاحي جعله أقرب إلى «التلقي المعجمي» الذي يمهّد الطريق أكثر مما ينبج ممارسة نقدية مستقلة، وهو ما يكشف عن طبيعة التلقي العربي للتفكيك في كثير من جوانبه.

ومن خلال استقراء هذه النماذج جميعها - من الخطيبي والغدائي إلى البازعي والرويلي - يمكن القول إن تلقي التفكير في النقد العربي اتسم بالتنوع بين محاولات التوطين الثقافي، والاستئثار في نقد النقد، والرفض الصارم، والتجارب التطبيقية، ثم الجهود المعجمية التعريفية. لكن المشترك بينها جميعاً أنها لم تُنتج حواراً إستيمولوجياً عميقاً مع التفكير، بقدر ما مثلت أشكالا من المحاكاة أو الاستعارة الجزئية لأدواته ومفاهيمه. وهذا ما يجعل الحاجة إلى مقارنة ميثاقية أمراً ملحاً، من أجل مساءلة هذا التلقي، ورصد حدوده وإمكاناته، والتفكير في سبل تجاوزه إلى ممارسة أكثر أصالة وفاعلية في النقد العربي. وعليه فإن تتبع هذه المواقف المختلفة يقودنا إلى ضرورة التوقف عند إشكالية المحاكاة وحدود التلقي في النقد العربي، بوصفها المدخل الأساسي لفهم حضور التفكير وتمثلاته.

4- حدود تلقي التفكير في النقد العربي: مقارنة ميثاقية

كانت مسألة المناهج في النقد العربي لا تزال غير مستقرة ذلك، ذلك أن البيئة العربية تستقبل المناهج الغربية جاهزة فقط دون التنظير لها بحركة سريعة إذ "تجتمع المذاهب والاستراتيجيات والمشاريع النقدية التي شهدتها الساحة العربية في السنوات الأخيرة من القرن العشرين من بنوية إلى تلق إلى تفكيك، وتنقل المصطلحات النقدية في خليط فوضوي بكل تعالقاتها المعرفية/ الفلسفية"²⁸، ما جعل المفاهيم والنظريات في البيئة العربية تفتقر لوجود خلفيات معرفية تنظر لها بما يتوافق والنص العربي، وهذا ما جعل النقد العربي يتأرجح بين المتغيرات التي تنتقل إلينا من الوسط النقدي الغربي، فإذا كانت المناهج والنظريات النقدية الغربية تعاني من الفوضى والتشتت جعلت القارئ يقع في مشكلة استيعاب ما تنتجه ثقافته فكيف سيكون حال القارئ والناقد العربي لهذه المناهج، يقول في هذا عبد الله الغدائي أن التحول السريع من البنيوية إلى التفكيكية "دون القيام بمجرد تنبيه القارئ لما يجب أن يتوقعه، أن في تلك المقولات بعض التجني على التفكير، لكن تجربة الاستراتيجية التفكيكية في الواقع تؤكد أن المشروع الجديد فتح أبواب الجحيم على مصراعها أمام الإبداع والتلقي على السواء، فهو يقدم عالماً تسوده فوضى لا تعترف بالقوانين أو السلطة أو الإحالة"²⁹، والمناهج في النقد الغربي ظهرت وفق مرجعيات فكرية ثقافية مهدت لولادتها، عكس الوسط العربي الذي عرف استقبالا لهذه المناهج دون

تنظير مسبق لها وبالتالي عرف هذا النقد تبعية شبه تامة، ما جعله يشهد تراكماً معرفياً أقصى إلى أزمة في صعوبة تطبيق المناهج الغربية والنظريات أو تطبيقها أو قصورها في قراءة الخطابات الأدبية والنقدية، وأزمة في النقد العربي عموماً، "فالتربة والبيئة التي نشأت فيها التفكير لم تكن نفسها هي التربة والبيئة العربية، وعليه سنكون أمام مشكلة أخرى تتجاوز إشكالية الترجمة إلى السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي، باختصار نحن أمام مشكلة إيتيمولوجية Etymologie متعلقة بتلقي التفكير في الخطاب النقدي والفلسفي العربي"³⁰، خاصة النقاد الداعين للحفاظ على التراث أو الموروث الثقافي الفكري العربي، وتعاليم الدين الإسلامي، إذ أن مرجعيات وخلفيات التفكير اليهودية تنفي وجود الإله وتدعو إلى الشرك، وهذا لا يتواءم مع طبيعة النص العربي والدين الإسلامي، "وهذا سيولوج الخطاب النقدي في إشكاليات أغور وأعتقد، على اعتبار أن تلك الدعوة دعوة للتفكير النقدي بعقل مستعار دخیل، ما يخلق حالة من النشاز والتنافر بين نص عربي خالص، ومنهج غربي خالص هو نتاج فكر غربي خالص"³¹، فيما يذهب الناقد عبد الحليم عطية إلى أن التفكيرية وما بعد الحداثة ليست إلا ممارسة استعمارية إمبريالية من نوع آخر تسعى للقضاء على الموروث الثقافي العربي، إذ يقول "وأنا أذهب إلى أن التفكيرية وما بعد الحداثة هما في واقع الأمر أيديولوجية النظام العالمي (الاستعماري) الجديد الذي يحاول أن ينسبنا هويتنا وخصوصيتنا وتراثنا وذاكرتنا التاريخية"³².

وبالتالي فإن استقبال التفكيرية في النقد العربي عرف عديد من المشكلات وأولها التبعية والانحياز الشديد بالإنتاج الغربي، إذ ظهرت المناهج والنظريات في الوسط الغربي وفق ظروف خاصة ساهمت في انبثاقه، أما في الوسط العربي فكان النقاد العرب يستقبلون التحولات الغربية وما نتج عنها بسرعة كبيرة دون التنظير أو التمهيد لها فقد تم استقبال استراتيجية التفكير بمعزل عن مرجعياتها، "حيث يذهب كثير من النقاد والباحثين العرب إلى اعتبار أن المناهج الغربية الحديثة مجرد آليات للتحليل لا صلة لها بأية عقائد فلسفية أو دينية، ولعل هذا راجع إلى أن مواقف أغلب النقاد العرب من المناهج النقدية الغربية، لم تكن نتيجة بحث معرفي ومسألة نقدية واعية، وإنما نتيجة انبهارهم بمعطيات الحضارة الغربية، وتحيزهم الكلي إلى النقد الغربي ثم إن مساءلتهم للمناهج النقدية الغربية مثل: البنيوية، النقد الجديد، أو التفكيرية، في كثير من الأحيان مجرد استدعاء لمواقف بعض الباحثين من أنصار تلك النظريات"³³، ولا يمكن تطبيق المناهج والنظريات بمعزل عن خلفياتها الاستعمارية، ما جعل النقد العربي يعاني من أزمة التنظير وأزمة الاستيعاب لهذه المناهج، وهذا ما عابه عبد العزيز حمودة على النقاد الحداثيين العرب، فالمراسات العربية للتفكير اقتصر على تشریح النص، فالنقاد الحداثيون "لا يخاطبون القارئ ولا يتعاملون مع النص بنفس الاستعلاء والصلف المعهودين، بل يتعاملون مع النص أو النصوص كنقاد تحليليين متميزين أولاً وأخيراً، ذلك وباختصار شديد، ما يريد لنا النقاد الحداثيون العرب أن نأخذ به قلاً عن الحداثة الغربية دون تمييز أو دون إدراك الفروق الأساسية بين الواقع الثقافي الغربي والواقع الثقافي العربي، وهكذا نجد أنفسنا منذ ما يقرب من عقدين الآن، نضرب أخماساً في أسداس، ونلهث وراء نقاد الحداثة العربية في محاولة لفهم لغتهم وطلاسمهم وشفراتهم التي أبعدتنا عن النص المبدع بدلاً من أن تقرّبنا منه. لقد نقلوا المفاهيم والمصطلحات المستخدمة من ثقافة معينة إلى ثقافة أخرى مغايرة تماماً، مما ترتب عليه خلق فجوة بين القارئ العادي لنقاد الحداثة العربية"³⁴، فلم تكن النظريات الغربية خاضعة لمساءلة منهجية عربية، هذه التبعية رفضها أنور الجندي في طرحه للسؤال "لماذا نكون تابعين لمدارس معينة في النقد الأدبي ولا نكون لنا نظريتنا الأصلية، ومدارسنا المبتكرة القائمة على

أساس من قيمنا؟ لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهي غريبة عنا، ولا تكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من أدبنا؟ ومادام أدبنا يختلف في جوهره وذاتيته ومضامينه على الأدب الغربي، فلماذا نحكم بمقاييس هذا الأدب فيه؟³⁵.

كذلك عرف انتقال المناهج مشكلة في الترجمة، فقد استدعت ترجمة التفكير إلى العربية استعمال بعض المصطلحات التي قد تحرف عن المعنى الحقيقي للتفكير، واستعمال كلمات مركبة لتعريبها، ولعل هذه المشكلة نابعة من صلب النقد الغربي الذي عرف لعبا بمصطلحات صعبة أفضت إلى صعوبة في ترجمتها، فكما هو ملاحظ في نقل وترجمة التفكير الدريدي إلى البيئة العربية تعددًا في الترجمات وتباينًا واختلافًا بين النقاد في تعريبه، وهذا اعتبر من مشكلات الترجمة، إذ "أكد النصف الثاني من القرن العشرين أن ترجمة النظريات النقدية الحديثة وما بعد الحديثة، تمثل تحديًا لقدرات المترجم لغويًا وذهنيًا. فالمترجم يجد نفسه يتعامل مع مصطلحات لغوية مفردة أو مركبة، لم يتم الاتفاق على دلالتها بين أبناء الثقافة الواحدة، أو بين أبناء الثقافة التي أفرزتها، أو بين أبناء الثقافات المختلفة، وأيضًا ارتباط المدارس النقدية الحديثة وما بعد الحديثة بالفلسفة الأوروبية الحديثة، ما شكل تحديًا في فهم المعنى لدى القارئ، إضافة إلى ارتباط النص النقدي الحديث وما بعد الحديث بالغموض والابهام"³⁶، فغموض النص النقدي الغربي وقل مصطلحاته ومراوغته أثقل كاهل المترجم، وجعله يضطر إلى ترجمة الكلمة الواحدة بعدة كلمات مركبة في محاولته لايصال المعنى المراد للقارئ العربي، خاصة إذا كان المترجم لا يمتلك العدة والزاد المعرفي والفكري والثقافين، فقد ترجمها الدكتور سعد البازعي وميجان الرويلي في دليل الناقد الأدبي بالتوقيضية، كما يمكن ترجمتها بالانزلافية (وذلك إن أردنا ترجمة المفهوم الكامن وراء الكلمة لا الكلمة ذاتها فقط، وهذه إشكالية حقيقية تواجه المترجم العربي من اللغات الأوروبية، حيث يتبدى من خلال المفردات نموذج حضاري متكامل تعجز الترجمة الحرفية عن نقله، بل إنها تطمس معالمه أحيانًا وتفصل المصطلح عن النموذج الحضاري الكامن وراءه)³⁷، فينتقل النص الغربي إلى الوسط العربي غامضًا ومبهًا وهذا ما يعيب النقاد والمترجمين الحديثين العرب حسب ما يراه عبد العزيز حمودة، فيقول "تزعج بعض المفاهيم الأخرى التي تعني أشياء يحملها الحديثون العرب أكثر مما تطبق مثل الفراغ، والفجوة مع ما يصاحبها أيضًا من سوء الفهم وسوء التطبيق، بينما الأمر عند هايدجر أو عند دريدا، لا يبدو أن يكون جزئية جانبية في التفكير والتلقي ودور التقاليد في حجب المعاني الأولى عند الفيلسوف الألماني، ودور اللغة كعلامة حضور وغياب للمعنى عند الناقد الأمريكي/ الفرنسي"³⁸. وبهذا يتبين أنّ إشكالية التلقي العربي للتفكير لم تكن قائمة على وعي إبستيمولوجي راسخ بجذوره الفلسفية، بقدر ما ارتبطت بمحاولات انتقائية أو إسقاطات شكلية، ما جعل النصوص تُقرأ أحيانًا من زاوية الانبهار بالمصطلح أو الترجمة أكثر من انخراطها في أفق التفكير ذاته. وهو ما يعيد طرح الحاجة إلى مقارنة ميثاقية تكشف حدود هذا التلقي، وتفتح المجال أمام استيعاب التفكير لا بوصفه غيابًا للمعنى، بل باعتباره أفقًا منتجًا للاختلاف وإمكانًا لتجديد القراءة النقدية في الثقافة العربية.

الخاتمة:

لقد شكّل ظهور المناهج النقدية في القرن العشرين - من الشكلانية والبنوية إلى ما بعد الحديثة - تحولًا كبيرًا في الفكر الغربي، إذ فتحت آفاقًا جديدة لقراءة النصوص عبر تجاوز الأحادية والبحث عن تعدد الدلالات. وفي هذا السياق برزت استراتيجية التفكير بوصفها أهم إفرازات ما بعد الحديثة، حيث قامت على زعزعة البنى النصية وتقويض المركبات، وإبراز ما يغيب في الخطاب من تناقضات ومعانٍ مؤجلة. وقد انتقلت هذه الاستراتيجية إلى الثقافة العربية

عبر الترجمة والانفتاح الحضاري، فوجدت طريقها إلى النقد العرب في لحظة كان فيها النقد العربي يبحث عن أدوات جديدة تخرجه من انغلاقه على التراث وتجعله أكثر تفاعلاً مع أسئلة الحداثة. غير أن هذا الانتقال لم يكن بريئاً ولا مكتملاً، إذ أثار جدلاً حول مدى مواءمته للثقافة العربية وحدود استثماره في النصوص المحلية.

وقد كشفت قراءة مواقف النقد العرب أن التلقي جاء متنوعاً ومتبايناً: فبينما سعى الخطيبي إلى توظيف التفكير في مساءلة قضايا اللغة والهوية، استثمر الغدادي أدواته في مشروعه لنقد النقد، في حين وقف حمودة موقفاً رافضاً للتفكير باعتباره واداً غير قابل للتوطين، بينما حاول مرتاض توظيفه في قراءاته التطبيقية مع ما شابها من محدودية شكلية. أما البازعي والرويلي فقد انشغلا بالتأصيل الاصطلاحي والمعجمي، مسهمين في إدخال المفاهيم إلى التداول النقدي دون أن يقدموا ممارسة تطبيقية عميقة. وهذا التعدد في المواقف يعكس من جهة افتتاح النقد العربي على التفكير، لكنه يكشف من جهة أخرى حدود استيعابه، إذ ظل في الغالب محكوماً بالمحاكاة والانهار والانتقائية.

ومن هنا يمكن القول إن تلقي التفكير في النقد العربي لم ينتج أزمة بالمعنى الدقيق، وإنما تجسدت في أشكال من المحاكاة الجزئية التي لم تنجح في تحويل التفكير إلى ممارسة نقدية أصيلة. وهو ما يطرح الحاجة اليوم إلى مقارنة ميثاقية تعيد مساءلة هذا التلقي، وتفحص حدوده وإمكاناته، في أفق تجاوز الاستعارة السطحية نحو بناء وعي نقدي قادر على استيعاب التفكير في جذوره الفلسفية وتفعيله بخصوصية في قراءة النصوص العربية. بذلك فقط يمكن للنقد العربي أن يتحرر من التبعية المعرفية، وأن يسهم بفاعلية في الحقل النقدي العالمي.

هوامش:

- ¹ اسماعيل محمد هاشم الياسري، (2018)، استراتيجية التفكير وتطبيقاتها في تأويل النص المسرحي العربي المعاصر (نماذج مختارة)، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي القار، المجلد 8، العدد2، ص8.
- ² حميد الحميداني، 2014، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ط3، فاس، كلية الآداب ظهر المهرز، ص193.
- ³ نيري ايغلتون، 1995، نظرية الأدب، تر: ثايرديب، د ط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ص230
- ⁴ محمد بلعيد، (2019)، الجذور المعرفية والفلسفية النقدية المعاصرة، المنهج التفكيكي نموذجاً، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، لبنان، العدد53، ص116.
- ⁵ عبد الغاني بارة، 2008، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، ط01، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص40.
- ⁶ اسماعيل محمد هاشم الياسري: استراتيجية التفكير وتطبيقاتها في تأويل النص المسرحي العربي المعاصر، مرجع سابق، ص9.
- ⁷ حميد الحميداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مرجع سابق، ص205
- ⁸ عبد الوهاب المسيري، فتحي التركي، 2003، الحداثة وما بعد الحداثة، ط01، دمشق، دار الفكر المعاصر، ص113.
- ⁹ عبد العزيز حمودة، 2001، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، د ط، الكويت، عالم المعرفة، ص127.
- ¹⁰ محمد شوقي الزين، 2002، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، ط01، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص191
- ¹¹ عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، 2003، دراسة في سلطة النص، د ط، الكويت، عالم المعرفة، ص177.

- ¹² عبد الله ابراهيم، سعيد الغاني، عواد علي، 1996، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط02، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص113.
- ¹³ عبد الله الغدائي، 2006، تشرح النص، ط02، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص 112
- ¹⁴ عبد الله ابراهيم، سعيد الغاني، عواد علي: معرفة الآخر، مرجع سابق، ص 113، 114.
- ¹⁵ عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، مرجع سابق، ص 220
- ¹⁶ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، 108، 109.
- ¹⁷ عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، مرجع سابق، ص 210
- ¹⁸ محمد عناني، 1998، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، ط02، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ص143.
- ¹⁹ محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، المرجع نفسه، المرجع نفسه، ص 138، 139.
- ²⁰ وسيلة مجاهد، بدره قرقوى، (2023)، التفكير في النقد المغربي، قراءة في أعمال محمد بكاي، مجلة أفاق علمية، المجلد15، العدد02، ص09، 10.
- ²¹ أحمد عبد الحليم عطية، 2010، جاك دريدا والتفكير، ط01، بيروت، لبنان، دار الفارابي، ص 28، 29.
- ²² عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج، منشورات عكاظ، الرباط، 2000، ص 11، 12.
- ²³ عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج، المرجع نفسه، ص 11.
- ²⁴ عبد الله محمد الغدائي، 1993، ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، ط02، الكويت، دار سعاد الصباح، ص 108.
- ²⁵ عبد الله محمد الغدائي، 1997، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرنجية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط04، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 55.
- ²⁶ ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2002، دليل الناقد الأدبي، ط03، الدار البيضاء، المغرب، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ص 108.
- ²⁷ ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المرجع نفسه، ص 110.
- ²⁸ عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، مرجع سابق ص 145.
- ²⁹ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكير، مرجع سابق، ص 254.
- ³⁰ فريد مناصرية، (2019)، تلقي التفكير في الخطاب النقدي العربي-دراسة في المفاهيم والآليات -، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 8، العدد 3، ص 06.
- ³¹ حمزة بسو، (2017)، الموقف النقدي العربي من إفرازات الحداثة الغربية، (المناهج النقدية)، مجلة أفاق، جامعة الجلفة، العدد 09، ص 03.
- ³² أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا والتفكير، مرجع سابق، ص 189.
- ³³ مجموعة مؤلفين، 2022، رهن استراتيجيات الخطاب الأدبي العربي، التحولات ومسارات التجديد، ط01، الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة، ص 730.
- ³⁴ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، مرجع سابق، ص 54.
- ³⁵ حمزة بسو: الموقف النقدي العربي من إفرازات الحداثة الغربية، مرجع سابق، ص 4.
- ³⁶ ينظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، مرجع سابق، ص 116.

³⁷ عبد الوهاب المسيري، سعد البازعي: الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 111.

³⁸ عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، مرجع سابق، ص 123.

قائمة المراجع:

الكتب:

- 1 أحمد عبد الحليم عطية، 2010، جاك دريدا والتفكير، ط01، بيروت، لبنان، دار الفارابي.
- 2 عبد العزيز حمودة، 2001، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، د ط، الكويت، عالم المعرفة.
- 3 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكير، د ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- 4 عبد الغاني بارة، 2008، الهرمبوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، ط01، الجزائر، منشورات الاختلاف.
- 5 عبد الله ابراهيم، سعيد الغاني، عواد علي، 1996، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط02، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- 6 عبد الله الغدائي، 2006، تشرح النص، ط02، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- 7 عبد الله محمد الغدائي، 1993، ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، ط02، الكويت، دار سعاد الصباح.
- 8 عبد الله محمد الغدائي، 1997، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحيّة، قراءة نقدية لنموذج معاصر، ط04، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 9 عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، 2003، الحداثة وما بعد الحداثة، ط01، دمشق، دار الفكر المعاصر.
- 10 مجموعة مؤلفين، 2022، راهن استراتيجيات الخطاب الأدبي العربي، التحولات ومسارات التجديد، ط01، الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة.
- 11 محمد عناني، 1998، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، ط02، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر.
- 12 ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2002، دليل الناقد الأدبي، ط03، الدار البيضاء، المغرب، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي.
- 13 تيري ايغلتن، 1995، نظرية الأدب، تر:ثأرديب، د ط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
- 14 حميد لحيداني، 2014، الفكر النقدي الأدبي المعاصر، مناهج ونظريات ومواقف، ط3، فاس، كلية الآداب ظهر المهرارز.
- 15 عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، 2003، دراسة في سلطة النص، د ط، الكويت، عالم المعرفة.
- 16 محمد شوقي الزين، 2002، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، ط01، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.

المقالات:

- 1 اساعيل محمد هاشم الياسري، (2018)، استراتيجية التفكير وتطبيقاتها في تأويل النص المسرحي العربي المعاصر(نماذج مختارة)، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي القار، المجلد 8، العدد2، 163-148.
- 2 حمزة بسو، (2017)، الموقف النقدي العربي من إفرازات الحداثة الغربية،(المناهج النقدية)، مجلة آفاق، جامعة الجلفة، العدد09، 230-225.

- 3 مُجَّد بلعيد، (2019)، الجذور المعرفية والفلسفية النقدية المعاصرة، المنهج التفكيكي نموذجاً، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، لبنان، العدد 53، 115، 130.
- 4 وسيلة مجاهد، بدره قرقوى، (2023)، التفكيك في النقد المغربي، قراءة في أعمال مُجَّد بكاي، مجلة أفق علمية، المجلد 15، العدد 02، 488-506.
- 5 فريد مناصرة، (2019)، تلقي التفكيكية في الخطاب النقدي العربي-دراسة في المفاهيم والآليات - ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 8، العدد 3، 202-220.